لحظة الحقيقة

عكست حرب الخليج، خلال الشهرين الماضيين، مقدار الترابط الحقيقي بين الازمات في المنطقة، خصوصاً على جبهة النزاع العربي ـ الاسرائيلي، والجهود المبذولة الرامية الى دفع عملية السلام من الحالة الراهنة باتجاه احراز تقدم جدّي وملموس، بعد ان سقطت هذه العملية في هوّة عميقة، جرّاء الرفض الاميركي واستبعاده وضع هذا الملف المتفجّر على طاولة البحث قبل الانتهاء من طيّ الملف الخليجي. وما كان لهذه النتيجة ان تتضح بهذا الشكل، لولا اقتراب الولايات المتحدة الاميركية من لحظة الحقيقة التي ساهم في بلورتها الموقف السوفياتي المستجد، من جهة، وبروز نقاط خلافية في العلاقات مع اسرائيل، من جهة ثانية، والنتائج المباشرة لحرب الخليج، بعد انتهائها، على حل ازمته المزمنة، من جهة اخيرة.

مباركة النهج الاميركي!

ان اي مراقب لتطور المواقف الاميركية، والسوفياتية، تجاه مشكلة الشرق الاوسط، لا بدّ من ان يلاحظ ارتياح واشنطن لما تسمعه من الكرملين، وحرص موسكو على ابراز الايجابيات الصادرة عن البيت الابيض.

احد المسؤولين الاميركيين اشار، بوضوح، الى ان «التفكير الجديد» الذي دعا اليه وزير الخارجية السوفياتية، الكسندر بسميرتنيخ، خضع لعملية مراجعة، ولضغوط، من اجل اجراء عملية حساب للربح والخسارة في ما يتعلق بسياسة الاتحاد السوفياتي الخارجية، خصوصاً لجهة الانطباع الذي تركته هذه السياسة في اوساط الدول الصديقة لموسكو بأن الكرملين قد بدأ بالتخلّي عن وجوده الدولي في مناطق العالم المختلفة، بما في ذلك الشرق الاوسط. وقال المسؤول الاميركي، ان وضع السياسة الخارجية السوفياتية يبدو مختلطاً، بسبب المراجعة الداخلية في موسكو. فمن جهة، يبدو السوفيات وكأنهم بدأوا ينسحبون من مناطق عدة، او يتحدثون عن خفض التزاماتهم وتعهداتهم؛ ولكن يبدو انهم مستمرون في المحافظة على التزامات ملموسة، بما في ذلك التزامات تقديم اسلحة الى الحلفاء الذين يعتبرونهم «اولوية»، لا بل انهم «يخرجون عن طريقهم ليطمئنوا حلفاءهم» في هذا الخصوص (**الواشنطن بوست**، ٣١/١/١٩٩١).

اتساقاً مع هذا المنطق، اشار بسميرتنيخ الى ان الاتحاد السوفياتي كان يولي الاهتمام الاساسي، في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، للعلاقات مع الدول النووية على حساب علاقاته التقليدية مع البلدان المجاورة، واكد ان بلاده ستولي، منذ الآن، قدراً أكبر من الاهتمام بصلاتها مع الدول المتاخمة لها. وفي صدد موقف بلاده من الولايات المتحدة الاميركية، قال «انها دولة عظمى»، وتحتل موقعاً مركزياً في السياسة الخارجية للاتحاد السوفياتي؛ لكنه اكد ان الاقرار بذلك لا يعني اعتبارها «القوة الطاغية على كل شيء سواها». ورداً على سؤال عن احتمال انحسار في العلاقات بين البلدين على غرار ما حصل في النصف الثاني من عقد السبعينات. قال: «لا يمكن استبعاد اي شيء؛ وليس هناك مجرى مضمون للاحداث»؛ وحذّر واشنطن من ردود الفعل العاطفية والانسياق الى الحسابات السياسية الآنية. واكد ان «العالم ذو القطبين» قريب من الانتهاء، وستظهر اقطاب عدّة (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١/٢/١٩٩١).

على الرغم من ذلك، فقد برهن البيان الاميركي ـ السوفياتي المشترك، بوضوح، على ان لا جديد عند الطرفين. فقد تعهّد وزيرا خارجيتي البلدين، ان يولي بلداهما الاستقرار في الشرق الاوسط اولوية كبيرة فور وقف العمليات العسكرية في منطقة الخليج، وان هذا لا يمكن تحقيقه سوى بمعالجة اسباب الصراع، بما في ذلك النزاع العربي ـ الاسرائيلي. وفي البيان، ايضاً، «ان الوزيرين اتفقا على انه في